مجلة افاق للعلوم | المجلد 05 / العـدد: 18 (2020)، ص 362- 369

تاريخ الاستلام: 2019/08/04 | تاريخ القبول: 2019/08/12

حوار الحضارات بين الفكرة و التطبيق

Dialogue Of Civilizations Between Idea And Application

د.بلبول نصيرة

جامعة الجلفة

ملخص:

من أجل تقديم مشروع حوار الحضارات والثقافات لابد من إجراء عملية ضرورية تعتبر الأساس الأول والتي من شأنها إنجاح هذا الطرح ، وتأتي عملية ضبط المفاهيم أولى هذه الخطوات ، وينال مفهوم الاتصال حظ الأسد في ذلك لما له من توظيف مباشر وفعال لا يمكن تجاوزه ، كما لا يخفى على الجميع أن العملية الاتصالية في شقها الإنساني الاجتماعي لها دور مباشر وفعال في تحديد القوالب والأنماط الاجتماعية والتي بدورها تحدد طبيعة المجتمعات وتصنع خصوصيتها إلى حد ما، فعملية تحديد المفاهيم بكل الأبعاد والايديولوجيات من شأنه توفير الكثير من الوقت والجهد في تفعيل مشروع حوار الحضارات والثقافات وإنقاذ الإنسانية من مخارج قد لا تحمد عقباها .

كلمات مفتاحية: الحضارات ،الثقافات،الاتصال.

Abstract:

In order to present the project of dialogue of civilizations and cultures ,it is necessary to conduct a necessary process which is the first basis that will make the success of this proposition ,

the process of conceptualization comes first of these steps and the concept of communication takes the lions share in this because it thas direct and effective employment that can not be by passed . the communicative process in this social and social context has a direct and effective role in determining the social patterns which in turn determine the nature of the societies and create their specificity to a certain extent .the process of defining the concept in all dimensions and ideologies will save a lot of time and effort in activing the dialogue of civilizations and humanitarian rescue of the exists many not ominous

Keyword. Civilizations, cultures, communication

المؤلف المرسل: د.بلبول نصيرة ، **الإيميل:** nacerabelboul@gmail.com

مقدمة

يبدو أن حوار الحضارات موضوع يجر مجموعة من المفاهيم القديمة والحديثة ما يتطلب الضبط والتّدقيق في محتواها ومغزاها ، ومن الضروري إدراجها لارتباطها الوثيق بموضوع الحوار الحضاري الذي جاء ضمن عملية متسلسلة وضمن ظروف ومعطيات معينة كما أنه يسير على نهج بعثرته الإيديولوجيات الكثيرة والمتناقضة تمكّنت في الكثير من الأحيان بتوقيف مسار الحوار وتشكيل الكثير من العقبات حالت دون مواصلة تفعيله ، وساهمت عملية المفاهيم المبرمجة والمكيّفة بما يتلاءم مع إيديولوجيات معيّنة وليس من خلال عملية معالجة موضوعية علمية في إحداث الكثير من التّأخير أو بإجهاض مبادرات الحوار السّلمية، وهذا ما أدخل مشروع إنساني ضخم واضح المعالم والمقاصد في مجادلات ونقاشات أبطأت مساره وضيّقت آفاقه ، لذلك فإنّ تناول ضبط المفاهيم والمصطلحات تُساهم في تخطي الكثير من اللّبس والغموض والخروج بالمشروع من دائرة التساؤلات والأفكار والطّروح حول الماهية، إلى المضي نحو المبادرات و التناولات التي تعالج الكيفيات وتفعّل الحوار.

إن عملية البث في مفاهيم الحوار غير المسيّسة والتي لا تخضع إلاّ للقوالب العلمية الموضوعية تعتبر البداية الصحيحة في تفعيل مسار الحوار الذي من شأنه المساهمة في إخراج الإنسانية من مآزق ومشاكل أصبحت تؤرق الشعوب وتوتر العلاقات في جميع مستوياتها، كما أصبحت المفاهيم الموجهة تنتج تنظيمات وتكتلات تصب في أنساق تفاعلية صراعية تزيد من حدة التوترات وتعمق الخلافات، وعليه فلا يمكن الخوض في طرح موضوع حوار الحضارات دون تسطير وبناء صحيح لأسسها ودون دراية بالبداية وبالمآلات، فالهدف الذي يحمله الحوار الحضاري يتأسس على خطوة تحديد المفاهيم فهي عملية فائقة الأهمية للتقويم المنهجي والوقائعي ، خاصة أمام ما نعرفه من تحويرات ومزايدات من شأنها أن تأخذه إلى منعرجات بعيدة عن الهدف الحقيقي للمحتوى الذي يعتبر سندا لابد من إرسائه لمساهمته في ضبط المصطلحات ، ووضع القالب الإيديولوجي الذي من شأنه احتواء كل الطروحات بالاعتماد على الطرح الابستمولوجي الحقيقي ، الذي من شأنه الدفع بحوار الحضارات والثقافات وفق مبادئ علمية صحيحة مناسبة تؤدي مؤداها التوافقي البنائي، وهذا لا يتأتى إلاّ من خلال عرض ما هو موجود وطرحه بموضوعية تقتضيها الضرورة العلمية، كخطوة ممهدة في اتجاه يدفع إلى تفعيل حقيقي لفكرة الحوار والتواصل.

البداية الصحيحة في تفعيل مسار الحوار الذي من شأنه المساهمة في إخراج الإنسانية من مآزق ومشاكل أصبحت تؤرق الشعوب وتوتر العلاقات في جميع مستوياتها، كما أصبحت (المفاهيم الموجهة) تنتج تنظيمات وتكتلات تصب في انساق تفاعلية صراعية تزيد من حدة التوترات وتعمق الخلافات.

التطرق لموضوع حوار الحضارات والثقافات يفرض علينا التطرق لماهية الاتصال كمفهوم، لأن الحوار هو في الأساس عملية اتصالية، ومن خلال تداول المصطلح بين الأفراد على مختلف فئاتهم وأعمارهم، ونظرا لممارستنا اليومية للعملية التواصلية نستطيع القول أنه عملية طبيعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بواقعنا من أجل توصيل رسائل لها محتويات مختلفة بداية من فكرة الكينونة إلى غاية تسيير شؤون الحياة على تنوعها . وهذا المفهوم البسيط أصبح القاعدة الأساسية للاتصال التي يتفق عليها الجميع ، ولعل هذا الاتفاق جاء من واقع الممارسة ، لكن بساطة الطرح لم تحمل معها بساطة في تفاعلاتها وتناولاتها بل أنتجت جملة التعقيدات والتركيبات التي تحملها مثل هذه العمليات الإنسانية ، لما لها من دور في تكوين وتحديد وتأطير العلاقات بين الأفراد وبين المجتمعات، لذلك فإن تناول مفهوم الحوار والتواصل على ما يحتويه من سلاسة ونعومة ، إلاّ أنه يتضمن من التعقيد والتركيب ما استهلك عقود من الزمن بذلها الباحثون والعلماء في سبيل التنظير لهذا المدلول، حيث أن فخ سهولة وضرورة الممارسة جعلت من تداول العملية الاتصالية أكثر العمليات تعقيدا وتشابكا بخصوص إفرازات العلاقات الاجتماعية.

الاتصال لغة

ننطلق من كلمة الاتصال في اللغة العربية[1] حيث أنها تعني التعبير والتفاعل من خلال بعض الرموز لتحقيق هدف معين، وتنطوي على عنصر القصد والتدبير. وهذه الكلمة مشتقة من الأصل اللاتيني Communis بمعنى المشاركة وتكوين العلاقة أو بمعنى شائع ومألوف . كما أرجع البعض هذه الكلمة إلى الأصل Common بمعنى عام أو مشترك وأي من هذه المفاهيم يوضح لنا أن الاتصال عملية تتضمن المشاركة والتفاهم حول موضوع أو فكرة لتحقيق هدف أو برنامج معيّن.

ويرجع أصل الكلمة في اللغة العربية إلى الفعل إتصل والإسم يعني المعلومات المبلغة أو الرسالة الشفوية أو تبادل الأفكار والآراء والمعلومات عن طريق الكلام أو الإشارات ، كما تعني الكلمة أيضا شبكة الطرق أو شبكة الاتصالات ، وكلها تؤكد على أهمية التفاعل والعلاقات الإنسانية بين البشر، وقد عرفها مختار القاموس بأنها وصل الشيء بالشيء وصلا بمعنى نقل المعلومات والمعاني والأفكار والمشاعر بين شخص وآخر وبين مجموعة أشخاص لتحقيق هدف ما وغرض معين. ومع هذا تستخدم كلمة الاتصال بمعاني تندرج من التفاعل بين الأفراد إلى استخدام شبكات الاتصال التكنولوجي ، بل وحتى وسائل المواصلات المتقدمة والمتطورة. ويؤكد ذلك على أن الاتصال يحدث عندما يتبادل الأفراد المعلومات ،أي عندما يدرك بعضهم بعضا ، وعندما يتبادلون الرسائل فيما بينهم ولا يقتصر ذلك على الجانب اللفظي بل يتضمن الإيحاءات والإشارات والمظهر وأوضاع البدن .

مفهوم الاتصال سوسيولوجيا

تعتبر عملية الاتصال عملية معقّدة اجتماعيًا[2]، وتشكّل إحدى المكوّنات الأساسية للجماعة حتى يمكن القول أنّه لا يمكن في الأصل تصور جماعة بدون اتصال ، والاتصال أيضًا هو عملية ربط مقصودة بين الطرفين(مرسل ومستقبل) لتأدية وظيفة محددة في إطار النّشاط الإنساني ، والاتصال أيضًا هو عملية اجتماعية إنمائية ، وغايتها هو حصول الفرد والجماعة على المعارف والمعلومات والإلمام بتجارب الأفراد والجماعات الأخرى .

إن الاتصال لا يقتصر على المجتمع الإنساني وحده[3]، ولكنه يوجد في الحيوانات والحشرات والطيور، إلاّ أنّ الإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يستعمل الرموز للدلالة على المعاني أو التعبير عن أفكاره وعواطفه، وهو الكائن الحي الوحيد الذي استطاع أن يطور هذه الصيحات (الأصوات) إلى لغة يستطيع من خلالها أن يعبر عن أفكاره ومشاعره.

كما يتضمن مصطلح[4] الاتصال التبادل وانتقال الأملاك و الأشخاص من مكان إلى أخر بواسطة طرق طبيعية أو اصطناعية ، وان توسعنا أكثر وبشكل أشمل فهو عملية تنتقل من خلالها الرسائل أيًّا كانت طبيعتها و الركائز المستخدمة فيها من فرد إلى أخر، بحيث تجعل التفاعل الاجتماعي ممكنا مع مراعاة الأُلفة الاجتماعية التي تركز على صلات التواسط و المبادلة ، ويلفت انتباهنا جبراييل تارد[5] الذي فضل مقاربة من طراز يرتبط بالنسب العائلي إلى الردهات وقاعات الاستقبال والمحادثات و الثرثرات ، و هو يعتبر الحديث أقوى عامل قادر على التقليد ونشر المشاعر و الأفكار وأنماط العمل ، والتواصل في شقه الثاني من خلال تناول بعض التّساؤلات التي بإمكانها ضمان سلاسة العملية الاتصالية ، والتي تدخل كمحور مهم في نظريته – التعلّم الاجتماعي- التي طرحها .

العملية التّواصلية لها أشكال وصور كثيرة ومتعددة ، وتأتي اللغة ضمن أهم هذه الوسائل وتعتبر قدرتنا على استعمال اللغة تمثل كبرى العوامل التي تميز الإنسان والمجتمعات الإنسانية عن عالم الحيوان ، ولا يتم تناول استعمال اللغة باعتبارها موضوعا تحليليا بحد ذاتها فقط ، بل يتم الاعتماد عليها باعتبارها وسيلة تعطيهم القدرة على بحث الظواهر الأخرى التي تمس المجتمع ككل ، فهي أكثر وسيلة متاحة للإنسان تُساهم في صُنع العلاقات أو تفكيكها ، لأنّها الوسيلة الأهم في التّعبير والتواصل.

لقد تنامى الاهتمام بدراسات اللغة نظرًا لما تشكّله من أهمّية بالغة ، و بادر لوسيان باي بمحاولته تناول المصطلح على أنه نسيج المجتمع الإنساني ، فهو من ناحية حقيقة أساسية من حقائق الوجود الاجتماعي ، وعنصر محوري في بنية العملية الاجتماعية من ناحية أخرى ، وضمان أكيد أيضا لتواصل الحياة الاجتماعية ، واطراد تطورها من خلاله يتم التفاعل بين الأفراد والجماعات ، وبواسطته يسهل انسياب

مدخلات الفعل الاجتماعي وديناميّاته[6]. فالتواصل ميزة يتصف بها الكائنات بهدف البقاء و الاستمرارية ، وتختلف طرق التواصل من حيث الطرق والأساليب في ذلك ، وهو صفة مكتسبة يضمن عملية التقدم ، و يتم وفق نشاط ذهني من خلال عمليات ذهنية كالإدراك والاستيعاب والتذكر، وعملية سيكولوجية من خلال التقبل والانفعال الحاد أو اللامبالاة والرفض ، فيتمثل في طبيعة المجتمع في ذاته و ترجمة الرمز(كرسالة) من خلال المرسول إليه كالضحك أو الكلام أو الإشارة ، أما العملية السوسيولوجية التي يحققها الاتصال فتبدو من خلال علاقة التفاعل بين الأفراد ، ويتراوح ذلك من توتر أو صراع أو احتواء واستيعاب . وفي هذا نجد هارولد لاسويل H Lass well العالم الاجتماع الأمريكي المتخصص في دراسة تأثير أجهزة الإعلام على تكوين الرأي العام ، قد بنى تعريفه للاتصال من خلال أسئلة مقصودة هي: من ؟ ، وماذا يقول؟ ، وبأي وسيلة؟ ، ولمن ؟ ، وبأي تأثير؟ . وتعتبر هذه الأسئلة الخمسة محورية ومهمة في العملية التّواصلية ، فهي تحدد مصدر الرسالة ، ومحتواها ، والطريقة التّي تتم من خلالها ، وترصد وجهتها ، ثمّ تتقصّى مدى فاعليتها كخطوة أخيرة لضمان سلامة مسارها.

الاتصال عملية يتم بمقتضاها تفاعل بين مرسل ومستقبل ورسالة في مضامين اجتماعية معينة ، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات ومنبهات بين الأفراد عن قضية ، أو معنى مجرد أو واقع معين[7]. ومع ما حققته وسائل الاتصال من تقدم بلغ عدد مستخدميها ما يقارب 2 بليون شخص ، أي ربع سكان العالم خلال سنة 2010م ، هذا الإقبال الواسع ساهم في إطلاق مبادرة اليوم الدولي لتعميم الانتفاع بالمعلومات ، في 28 سبتمبر/ أيلول والتي بدأت سنة 2016م ، كنشاط يندرج ضمن برنامج يهدف إلى التنمية المستدامة بضمان انتفاع الأفراد بالمعلومات وحماية حرياتهم الأساسية .

بالعودة إلى أسئلة هارولد لاسويل نستطيع القول أن هذه التساؤلات الخمسة تعتبر قوام العمليات الاتصالية ، وغياب أحد أطرافها قد يحدث خللا في العملية ، وقد نصل إلى درجة التشويش أو عدم وصول الرسالة إلى المرسل إليه ، مما يؤدي إلى نتائج غير تلك المقصودة، فالاتصال يهدف إلى تمرير فكرة إلى طرف آخر، ويستعين في ذلك برموز مختلفة يتفق عليها الأفراد بالضرورة من أجل ضمان سلامة العملية الاتصالية ، وأي خلل متعمد أو غير متعمد يحاول الأطراف تجنبه ، وعادة ما يتم الاتفاق على رموز خاصة بفئات دون الأخرى ، كالرموز التي يستخدمها الشباب فيما بينهم بواسطة حركات أو كلمات ، لينتجوا لأنفسهم خصوصية تطبع لغتهم ، وتحمل دلالات معّينة يصعب أن يفهمها غير أعضاء الجماعة ، هذه الرموز قد لا تمثل أي أهمية خارج هذه الفئة ، أو قد يصبح لها معاني ومحتويات أخرى تترجم حسب الخلفيات والتداولات ، مما يُنتج مفاهيم جديدة لها قد تكون متوافقة أو غير متوافقة معها.

إن الخلل الذي قد يرتكبه حامل الرسالة مهما كانت درجته، أو الغموض والتصوير تعتبر فئة الشباب والمراهقين من أكثر النّاشطين في مجال اعتماد الترميز الخاص باللغة –التواصل- وقد يرجع السبب في ذلك إلى محاولة التملص من الرقابة بكل أشكالها ، أو محاولة الشعور بالتميز والخروج عن نظام المجتمع ، أو بسبب طاقة الشباب المبدعة والمبتكرة...إلى غيرها، ومع اتساع دائرة العلاقات الشبابية بسبب شبكات التواصل الاجتماعي أصبح من السهل تبني رموز غريبة ودخيلة ، وأحيانا حتى متناقضة مع ثقافة المجتمع ، فتكاثرت الرموز المستخدمة وتباينت في انتشارها وتداولها من المحلية إلى العالمية وساهم في انتشارها الخيال الواسع لهم من جهة ، والانغماس في العالم الافتراضي من خلال أجهزتهم الإلكترونية والانفتاح على عوالم وثقافات مختلفة من جهة أخرى ، وربما من هذا الباب قد تصبح فكرة طرح المتابعة أو الضبط في العالم المعلوماتي شأنا لافتًا يستلزم الاهتمام به و السعي نحو ما بإمكانه محاولة وضع نوع من المعايير أو التأطير الذي يحول دون الانحرافات المرضية والتجاوزات الخطيرة .

استخدام التكنولوجيا بهذا التقدم العلمي السّريع والتقنيات العالية ، كان حلما بشريا ، مرّ من أجل تحقيقه بخطوات مهّدت لتحقيقها، وتعتبر مساهمة جون امبروز فليمنج (1849-1945) الخطوة الأهم في ذلك، والتحريف لمحتواها، والاختيار المناسب من عدمه للوسيلة والأسلوب والكيفية والتقديم والعرض، وتحديد الطرف أو الأطراف المعنية لكل هذه العملية، بالإضافة أحيانا إلى العمل على استيعاب أثرها وتأثيراتها، أي خطأ مهما كانت بساطته تؤدي إلى فشل العملية الانتقالية وتتراوح نتائج هذا الفشل بحسب الخطأ وظروفه،

وبإسقاط العملية الانتقالية على المجتمعات والشعوب وأنظمتها في إطار الحوار الحضاري الثقافي نجد أن مثل هذا المشروع يستدعي مم الدقة والحذر والصرامة كل الطاقات الممكنة من أجل الوصول به إلى هدفه المسطر الذي يسعى إلى تبني كل الخلافات والاختلافات ضمن مجال توافقي يمتص كل الصدمات التي قد تحيد به عن مبدأ السلام. وهي مبادرة نحو البحث عن وسائل اتصال تنقل الرسالة مباشرة من خلال إسهامه باختراع الصّمام الثنائي (الدّايود) سنة 1904م ومن خلال إسهامه في تطور الإنارة الكهربائية ، لتأتي بعدها مبادرة فاراداي وماكسويل سنة 1932م بخطوة أخرى، والتي لا تقل أهمية عن سابقتها، حيث كانت أكثر تقدما بتصور يقوم على نظرية بث موجات كهرومغناطيسية قادرة على حمل الرسائل ، واستمرت في التّغيّر والتّحديث إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم.

إن الخلل الذي قد يرتكبه حامل الرسالة مهما كانت درجته أو الغموض والتحوير والتحريف لمحتواها، والاختيار المناسب من عدمه للوسيلة والأسلوب والكيفية والتقديم والعرض، وتحديد الطرف أو الأطراف المعنية بكل هذه العملية بالإضافة أحيانا إلى العمل على استيعاب أثرها وتأثيراتها...فأي خطأ مهما كانت بساطته تؤدي إلى فشل العملية الاتصالية ، وتتراوح نتائج هذا الفشل بحسب الخطأ وظروفه ، وبإسقاط حيثيات العملية الاتصالية على المجتمعات والشعوب وأنظمتها في إطار الحوار الحضاري الثقافي نجد أن مثل هذا المشروع يستدعي من الدقة والحذر والصرامة كل الطاقات الممكنة من أجل الوصول به إلى الهدف المسطر الذي يسعى إلى تبني كل الخلافات والاختلافات ضمن مجال توافقي يمتص كل الصدمات التي قد تحيد به عن مبدأ السلام والتعايش.

كانت اللغة دائمًا حاضرة في جميع المراحل لأنها تلعب دورا مهما في عملية التواصل والحوار لكن حسب تشارلز كولي[8] اللغة وحدها لا تنشئ الرموز العقلية فحسب بل كل الأفعال والموضوعات هي رموز عقلية والاتصال يساعد على نمو الطبيعة البشرية ، أما مارشال ماكلوهان (1918-1980) فيعتبر أن قدرة الإنسان محدودة في معرفة المعلومات التي يتلقاها خلال عملية الاتصال فهو يحيط بقدر محدد متفرق من هذه المعلومات ثم يقوم بصياغتها بطريقته الخاصة كي يوضح له الصورة أو الفكرة عن الموضوع اللغة معاني ورموز.

ويرى رالف لينتون[9] أن استعمال اللغة كان من أعظم العوامل أهمية في دفع تقدم الثقافة وإيصالها إلى حالتها الراهنة. فكل لهجة[10] أو لغة هي عبارة عن صورة من طبيعة أهلها وأثر من بيئتهم وصورة تفكيرهم والمعاني التي تدور في أذهانهم، فهي على هذا مظهر ثقافتهم أي أسلوبهم في الحياة، فثقافة الأمة هي علمها غير الواعي الذي تتوارثه أجيالها وتسير به في شؤون حياتها، أي هي طريقتها في الحياة. فاللغة نسق[11] من العلامات Signs نعدّه ذا قيمة ثقافية، لأن المتحدّثين يعبّرون عن هويتهم وهوية الآخرين من خلال استخدامهم لها، فهم يرون أنّ استخدامهم للغتهم رمز لهويّتهم الاجتماعية، ومنع استخدامها رفض لهويتهم الاجتماعية والثّقافية، وعليه يمكننا القول أنّ اللغة ترمز إلى واقع ثقافي.

مفهوم التواصل عند كلود ليفي ستروس[12] شكّل معبَرًا لنقل النموذج الابستمولوجي اللساني إلى حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية في تأسيسه للأنثروبولوجيا البنيوية على فرضية مفادها أنّ نظام الثقافة يماثل في بنيته العامّة نظام اللغة ، والمقصود بذلك إبراز فكرة أنّ جميع ظواهر الحياة الاجتماعية والثقافية شبيهة بنسق اللغة ، من حيث أنّها منظومات من الرموز والعلامات ، ووظيفتها الرئيسة إقامة جسور مختلفة للتواصل بين البشر.

يمكن اعتبار اللغة من أكثر العناصر التي تسهم في تكوين الهوية والحفاظ عليها وإنتاجها إنّما يأتي كتعبير يندرج ضمن الدلالة الثّقافية ، لذلك فإنّ أشكال اللغة المتداولة الذي يطرح من حين إلى آخر في بعض البلدان لا يتوقف عند حدود اللسانيات من أصوات وبناء ودلالات ، ولا يقصد بها وسيلة تواصل فقط ، بل الهدف منها هو الحفاظ على إرث ثقافي يصنع منهم هوية تجعلهم يتمسكون بانتمائهم ، وهذا ما كان يسعى له أمازيغ الجزائر عندما طالبوا بتوثيق اللغة الأمازيغية كلغة رسمية، وقد لاقى قرار ترسيمها قبولاً وترحيبًا شعبيًا في عمومه ، لأنّ المجتمع الجزائري يؤمن بتعدد الثقافات التي هي أصلا تشكّل خصوصية الثقافة الجزائرية ، وما ترسيم اللغة الأمازيغية في الجزائر إلاّ نتيجة إقرار وممارسة اجتماعية للثقافة الأمازيغية ، ورغم وجود بعض الأصوات التي ترى بأنّ ترسيم اللغة الأمازيغية هو مساس بالعروبة الجزائرية ، أو عبث استراتيجي في زمن التّقشف الاقتصادي لما سيكلّف ذلك من ميزانية في سبيل هيكلتها التنظيمية داخل

المؤسسات ، غير أنّ خطوة ترسيم اللغة الأمازيغية هي خطوة صحيحة وسليمة تمشي في سياقها الصحيح على اعتبار طبيعة المجتمع الجزائري لأنه يتضمّن جانبًا أمازيغيا لا يمكن تجاوزه يدخل في تشكيل الهوية الجزائرية ، وبما أنّ اللغة هي هوية وثقافة فإنّ الحسابات المادية التي ينطلق منها البعض تصبح أقل أهمية أمام هذه الاعتبارات التي تقوم عليها الدولة . فترسيم اللغة الأمازيغية في الجزائر وإن جاء بصيغة قانونية ، فإنّه لم يعكس إلاّ واقعًا ، وما طرح هذا الموضوع في إشكالات ضمن صياغات مخالفة للواقع إلاّ محاولات تأتي من أجل إثارة خلافات ونزاعات بالعزف على وتر الهوية والعروبة ، في حين أنّ حقيقة هويتنا العربية الإسلامية لا تخلو من الجزئية الأمازيغية بكل طبوعها.

الرموز والتي تشكل عندنا لغة في الغالب تأتي على أثر التواصل لأنها تقوم على مبدأ الاتفاق في معناها ، هذه المشاركة في بناء المعنى تلزم الأفراد والجماعات على تقبل الرمزية المحمولة ليأتي تداولها ، ويختلف تناولها بين الشدة واللين الذي يتمثل في محاولة استخراج معاني أخرى أو الخروج عن المعنى العام والمشترك . فالتواصل فيما يرى جان كازنوف[13] هو جعل الشيء مشتركا ، أي الانتقال من حالة فردية إلى حالة جماعية أو اجتماعية، عبر الفعل اللازمة "اتصل" يتضمن من بين ما يتضمن الإخبار والإبلاغ والتخاطب، كما يقوم بنقل الرسائل والرموز المحملة بالدلالات والمملوءة بالإيحاءات ، ثم إن التواصل بما هو نشاط تبادلي وعلائقي فإنه يتم بصور شتى كالأصوات و الإشارات والصور، لكن التواصل اللغوي يبقى أبلغ أنواع التواصل ، ومن هنا تطرح الإيتيقية للتواصل ، أو لنقل من هنا نصل إلى بعث إيتيقا معينة للتواصل ، مادامت رسائل التواصل المتبادلة بين المرسل والمتلقي رسائل غير بريئة ، فهو وبمقدار ما هو أداة للتفاهم والتحاور قد يكون وبالمقدار ذاته أداة للصراع والخصام .

استنادًا على ما سبق نخلص أنّ التواصل هو إقرار بوجود الآخر، لأنّه يقوم بالضرورة بين طرفين لتحقيق العملية الاتصالية ، بغض النّظر عن نوعها وكيفيتها وآلياتها ، ويسعى لها الإنسان من أجل تحقيق غاية معيّنة ، منَ الطّرف الآخر أو بمعيّته ، فالعملية الاتصالية عملية إنسانية يسعى الإنسان لتحقيقها لأنه يشعر بضرورة ذلك فهو كائن اجتماعي بطبعه.

ويأتي التواصل ضمن صور وطرق مختلفة ومتعددة ، وتعتبر وسائل التكنولوجيا الحديثة من أكثر التقنيات تطورا أنتجها الإنسان و استثمرها في العمليات الاتصالية ، وقد مرت هذه التقنيات الخاصة بالاتصال بمراحل ، حيث كانت في البداية عبارة عن وسائل إعلام مكتوبة ثم أصبحت مسموعة ، ثم سمعية بصرية تحمل رسائل موجهة إلى جمهورها، ثم أصبحت أكثر تطورا إلى أن وجدت وسائل تكنولوجية أصطلح على تسميتها وسائل الاتصال الاجتماعي، أين يمكن للفرد وللجمهور التعبير عن رأيه و إصدار مواقفه حول المادة الإعلامية الموجودة "مضمون الرسالة"، ثم تواجدت مواقع أخرى تعبر عن الآراء و المعتقدات والميولات والأفكار، وطرح المواضيع وفق بث مباشر يحمل الصورة في حينها أي نقل حي للصورة في حصص إعلامية تلفزيونية ، أو من خلال مواقع وصفحات الكترونية أصبحت تأخذ مساحات أكبر يومًا بعد يوم وتستقطب جمهورًا أكبر.

لقد أصبح الإنسان في وقتنا الحالي مرتبط ارتباطا وثيقا بوسائل الاتصال الاجتماعي، وصلت إلى حد طرح مواضيع الإدمان عليها ومدى تأثيرها على نسق الحياة بصفة عامة ولربما كونها جاءت لتطوير عملية إنسانية ضرورية ، ساهم ذلك في جعلها وسيلة ضرورية أصبحت تلازم الأفراد ودخلت برنامج يومياته لتشكل جزءًا منها ، خاصة مع الإمكانيات والخصائص والتطورات المستمرة لهذه الوسائل من أجهزة كمبيوتر وهواتف نقالة وساعات ذكية...، وما حملته من تغيرات تمظهرت بصورة واضحة في مختلف أشكال الحياة وأصبحت واقعًا يطبع عصرنا ، وعلى ما تقدمه هذه التقنيات من مساهمات وإفرازات حول تأثيراتها إلاّ أنّه لا يمكن أن تتعدى إمكانيات وطاقات الإنسان ، كما أنّه لا يمكنها أن تخرج عن حقيقة كونها واحدة من التكنولوجيات المبتكرة التي تخضع لإرادة الإنسان من أجل تلبية رغباته ، وبالتالي فهي تترجم إلى حد ما هذه الرغبات ، فعوض التركيز على هذه الأدوات والمنتجات، نجد أنّ التركيز الأكبر من الأجدر أن يتوجه إلى المسيرين والفاعلين الحقيقيين لهذه الوسائل .

الحوار بين المعمول والمأمول

أثناء طرح موضوع الحوار والتواصل وبين مجموع الأفكار المختلفة يتشتت الفكر بين طرح الاتصال وطرح الانفصال ، وبين الأسباب والمعطيات ، فتضمحل الحقائق أمام كم الإفرازات ، ويُصبح الحوار منفذًا مهمًا بإمكانه الوصول إلى الآخر و التعايش معه، وتحديد ركائز الحوار تجعل منه عملية مثمرة تمنع ما بإمكانه خلق صراعات ، وقد قمنا بتلخيصها في النقاط التالية : أولًا تحديد الأطراف المتحاورة ، هذا التحديد الذي يتم بناءًا على تصنيفات وتقويمات تخلو من أي خصائص قد تطغى على الهدف الأسمى للحوار، أو تصبغه بإيديولوجيات تحيد به دون هدفه ، لذلك فالموضوعية و الدقة واجبة أثناء تحديد الهيئات أو الأطراف التي تسير بالمشروع الحواري.

ثانيًا: محتوى الرسالة ، تحقيق السلام لا يتأتّى إلّا عندما يتقبل كل طرف الطرف الآخر كما هو، وعندما تسود ثقافة التعايش دون سعي أي طرف نحو نمذجة الآخر وفق قوالب معيّنة وهذا الهدف والمحتوى لابد أن يُترجم إلى وقائع ، وتتخطى حدود الأوراق وأروقة المجالس إلى تطبيقات على أرض الواقع من خلال اللجوء إلى استعمال الوسائل المناسبة في ذلك كتسخير وسائل الإعلام في بث ونشر هذه الأفكار ضمن حصص مختلفة موجهة إلى الجمهور بمختلف فئاته تكون الأسرة هي الهدف الأول ، و العمل على تكريس هذه الثقافة في هيئات ومؤسسات وعبر مختلف الهياكل الرسمية للدولة ، وتسخير مبادرات وفعاليات متواصلة تسعى نحو تنظيم وتفعيل المشروع الحواري على ضوء النتائج المحققة لمتابعة العملية وبعثها المتجدد المتتالي الذي يضمن نشاطها ، سعيًا للوصول إلى ما بإمكانه بث المبادرة والحفاظ على تقدّمها ، وتوظيف ما من شأنه المساهمة في فتح المجالات وتوسيع النطاقات للحوار.

الخاتمة:

إن الاتساق الأهم في تكريس سياسية الحوار هي الانطلاقة المخلصة لأهدافها الواضحة التي تسعى للتواصل والقبول، وليس كخطوة لاحتوائها الآخر بقدر ما هي اقتراب ومرافقة للآخر، أما عن التغيرات التي لا يمكن إنكارها الناتجة على أثر هذا التواصل فهو ضرورة سوسيولوجية لا مناص منها، غير أن التقيد بالمسعى الجواري التواصلي يضمن لها الخروج من الدوائر الانتقالية المرفوضة اجتماعيا والتي من شأنها توليد ظواهر سلبية تمس البناءات والنظم وتخلق الحساسيات وتعود بنا إلى النماذج الصراعية العنيفة التي نحاول تجنبها، والتي تجعلنا نطرح مشروع الحوار والانتقال كبديل وخيار أمثل للرقي بالمجتمعات الانسانية.

ثالثا: تناول التأثيرات والمدى الذي تمكنت منه العملية التحاورية ، هي عبارة عن تحديد نتائج الحوار الذي تمّ تفعيله من أجل امتصاص الصدمات والأزمات التي قد يُحدثها أي تثاقف ناتج عن سبب أو آخر، ولابد من طرحها طرحًا دقيقًا تكون الموضوعية حاضرة بقوة لأخذها دائمًا نحو الانفتاح والتعايش دون مزايدات أو مفاضلات.

إن الأساس الأهم في تكريس سياسة الحوار هي الانطلاقة المخلصة لأهدافها الواضحة التي تسعى للتواصل والقبول ، وليس كخطوة لاحتواء الآخر بقدر ماهي اقتراب ومرافقة للآخر، أما عن التغيرات التي لا يمكن إنكارها الناتجة على اثر هذا التواصل فهو ضرورة سوسيولوجية لا مناص منها ، غير أن التقيد بالمسعى الحواري التواصلي يضمن لها الخروج من الدوائر الانتقالية المرفوضة اجتماعيا والتي من شأنها توليد ظواهر سلبية تمس البناءات والنظم الاجتماعية وتخلق الحساسيات وتعود بنا إلى النماذج الصراعية العنيفة التي نحاول تجنبها والتي تجعلنا نطرح تكريس وتفعيل مشروع الحوار والاتصال كبديل أمثل.

قائمة المراجع:

[1]- مي عبد الله ، نظريات الاتصال ، دار النهضة العربية ، بيروت، الطبعة الثانية ، سنة 2010، ص 23 ، 24 .

[2]- مُحَمَّد علي أبو العلا ، فن الاتصال بالجماهير بين النظرية والتطبيق ، دار العلم والإيمان للنّشر والتوزيع ، مصر ، الطبعة الأولى ، سنة 2014م ، ص 14.

[3]- مي عبد الله ، مرجع سابق ، ص 34 .

[4]- جيل فيريون ، معجم مصطلحات علم الإجتماع ، ترجمة: أسام مُحَمَّد الأسعد وسام بركة ، بيروت ، دار البحار ، طبعة 2011 ، ص 52 .

[5] - عاصر الفترة الزمنية 1843- 1904 بفرنسا اهتمّ بدراسة علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي ويُعتبر من أوائل المتناولين لعلم الجريمة وهو من أبرز معارضي "لومبروزو" حول دور الأصول البيولوجية في الإجرام ، نظريته التقليد والإبداع .

[6] - طلعت محمود ، مدخل إلى علم الاتصال ، المكتب الجامعي الحديث ، الاسكندرية ، سنة 2002 ، ص 71 .

[7]- مُحَمَّد علي فرح ، صناعة الواقع "الإعلام وضبط المجتمع"، مركز نماء للبحث والدراسات ، الطبعة الأولى، بيروت ، ص 215.

[8]- نفس المرجع ، ص 20 .

[9]- الفضيل العيرج ، الثقافة الحضرية ومشاكل الاندماج السوسيوثقافي ، المكتبة الوطنية للملكة المغربية، المغرب ، 2009 ، ص 18 .

[10]- حسين مؤنس ، الحضارة ، عالم المعرفة ، الكويت ، 1978م ،ص 323 .

[11]- كلير كرامش ، اللغة والثقافة ، تر: أحمد الشيمي ، وزارة الثقافة والفنون والتراث ، الطبعة الأولى ، قطر، ص16.

[12]- عبد الرزاق الداوي ، في الثقافة والخطاب عن حرية الثقافات ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة "قطر"، ص 27.

[13]- يورغن هابرماز ، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الطبعة الأولى، ص09.